

التحفة في مذاهب السلف

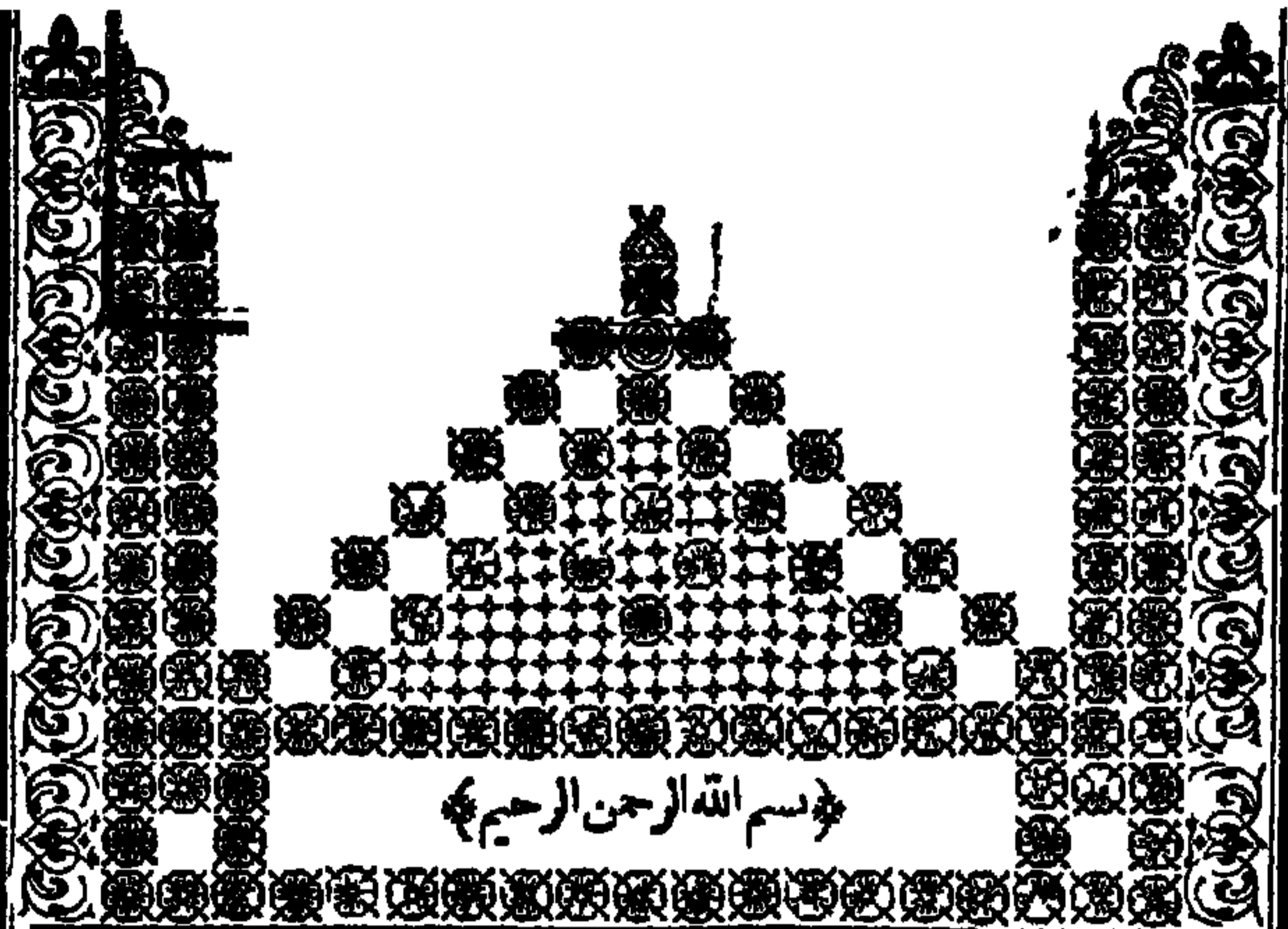
لشيخ الاسلام القاضي العلامة

البيدر محمد بن علي الشوكاني

رحمه الله تعالى

آمين

م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضي
الله عن صحبه الاعلام **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** فانه وصل سؤال من بعض الاعلام
السالكين بيلد الله الحرام وهذا المظه
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين ما يقول فقهاء الدين وعلماء
المحدثين وجماعة الموحدين في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها
الكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادي الى صراط مستقيم هل اقرارها
وامرارها واجراؤها على الظاهر بغية تكليف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل
عقيدة الموحدين وتصديق بالكتاب المبين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا
مذهب المجسمين وما حكم من أول الصفات ونبي ما وصف الله به نفسه ووصفه
به نبيه وتأيد بالنصوص واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه في سمائه
مستوعب على عرشه بان من خلقه وعلمه في كل مكان والدليل آيات الاستواء
والمعود والرفع وقوله تعالى أأمنتم من في السماء ومن السنة حديث الجارية

والتزول

والنزول وعمران بن حصين وقوله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في
السماء وغير ذلك من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأول الآيات
وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه
مطردة في سائر نصوص الصفات وعاش في ظلام العقل في الجهول والشبهات
وإذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال أين الله الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق
المضلين فهل هذا جواب الجهميين والمريسين وأضلاء المتكلمين أم اختيار
علماء السفين أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتي كل نفس تبادل عن نفسها
فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الأفهام وزلت الأقدام وكل يدعي
الصواب بزخرف الجواب فأينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل
والمطويل ضاعف الله لكم الأجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة
الله وبره وأقول في علم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات
قد طالت ذبوله وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق
وتخالفت فيه التحل وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله
ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه
حتى تفرقوا وافتروا وشعبوا وشعبوا وصاروا أحزابا وكانوا في البداية ومحاوله الوصول
الى ما يتصورونه من العمارة مختلفي المقاصد متبايني المطالب فطائفة وهي
أنف هذه الطوائف المتكلمة علم ما لم يكافها الله سبحانه بعلمه إنما وأقلها عقوبة
وجرمها وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت
في طريقة منوعة وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود لا يرجع من
سلكها سائلا فضلا أن ينظر فيها بطاوب صحيح ومع هذا أصلا وأصولا ظنوها
حقا فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة بيوية وأعمالوا في ذلك الدفع
بشبهه واهية وخيالات مختلة وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الأولى هي
الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب
له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتها أو ضح من شمس

النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هـ إذ من صنعهم موافقا للحق مطابقا
 لما يريد الله سبحانه قضاوا الطريق المستقيمة وأضوا من رام ساوكها والطائفة
 الأخرى هي غلت في اثبات القدرة غلوا بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار
 بما سواها وأفضى ذلك إلى الجبر المحض والقهر الخالص فلم يبق لبعث الرسل
 وانزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على عباده بعائده وجاؤا بتأويلات
 للآيات البينات ومحاولات لحج الله الواضحات فكأنوا كالطائفة الأولى
 في الضلال والاضلال مع ان كل المقصد من صحيح ووجه كل منـ ما صبح لولا
 ما شأنه من الغـ والقبح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون
 وظنت انها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هـ هذه
 الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها وتجدول على الأخرى
 وتصول بما ظفرت بما يوافق ما ذهبت اليه وكل حزب بما لديهم فرحون وعند الله
 تلتقى الخصوم يوم هذا يوم فهم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم
 وليكرز عموما ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الاعلية
 لطريق الخلف ان تسمى محققوهـ وما ذكره في آخر أمرهم دين الجاهل وقالوا
 هنيئا للعامة تتدبر هذه الاعلية التي حاصها ان يهني من ظفروا بها للجاهل لاهل
 الجهل البسيط ويتمنى انه في عدادهم ومن يدين بدينهم ويمشي على طريقهم فان
 هـ هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلية التي طلبوها
 الجهل خـ ير منها بكثير فاطنك بعلم يقر صاحبـه على نفسه ان الجهل خير منه
 وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه
 ففي هذا عبرة للمتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عموما على جهل هذه المعارف
 التي دخلوا فيها بدو وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما
 قال القائل

أرى الأمر يفضى إلى آخر * يصـير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمي والسلامة من هذه التهنئة للعامة فان العاقل

لا يتخفى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهني أن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك إلا من رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه في الله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدار بالنسبة إليه وهل سمع السامعون مثل هذه الخريفة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفا وأقلها تبعة فإظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كبار الإسلام وأهلها والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبهه وتقرير الأمور المنفضية إلى القدر في الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم أن

خير الأمور السالفات على الهدى * وشر الأمور المحدثات البدائع
وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم وقد كانوا رجحهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء
بهديمهم يسرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلموا ولا
يتأولون وهذا المعالوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه
شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان ترغبتهم نازع أو نجم في
عصرهم ناجم أو ضحو للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وصرحوا بذلك في
الجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني
وأصحابه وقالوا إن الأمر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقاله للناس فحذروه
الإمن ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوصح
للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعلوا بعبادتهم الله
بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع
المتدع في الصفات أن يتظاهر بدعته بل يكتمونها كما تكتم الزنادقة بكفرهم
وهكذا سائر المتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة
ولكننا نقتصر هنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها وهي مسألة

الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلم علم ما لم يأذن الله
 بان يعلموه ويبان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب الصنف الصالح
 من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من أراد من نزاع المتكلمين وشذوذ
 الحديثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المروور على ذلك الظاهر فقاموا عليه
 وحذروا الناس منه وبينوا لهم انه على خلاف ما عليه أهل الاسلام وسائر
 المبتدعين في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من
 الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الامرور ولا يتخضع
 بزخارف أقوالهم الامخدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب
 لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلطين حتى
 نجم نابيم المحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسية ومن لهم في الامر والنهي
 والاصدار والايراد اعظم صولة وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد
 فعند ذلك أطلع المنكسون في تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس
 من السننهم وأعلنوا بجزاهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجادلوا
 عنها وناضوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحق
 بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين
 كله وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أو وجد من علماء الكتاب والسنة
 في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم
 فكان لهم ولله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة في نصر الدين
 وهتك المبتدعين وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف ان مذهب السلف
 من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على
 ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه
 ولا تعطيل يفضي اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات
 تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القول والقييل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري
 بما سوى ذلك ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بما أوزته فان أراد

السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه
ونهوهم عن طلب ما لا يمكن الوصول الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير
ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون
عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين وكان في هذه القرون الفاضلة
الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما
أمرهم الله بالاشتغال به وكفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله واقام
الصلاة وابتداء الزكاة والصيام والنجاة والجهاد وانفاق الاموال في أنواع
البر وطلب العلم النافع وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه والمحافظة
على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار والقيام بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاتخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وعبادته اليه القدرة
ولم يشغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله به ولا تعبدتهم بالوقوف على حقيقته
فكان الذين اذذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قدر التمدد فعلى هذا
النمط كان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابعوهم وبعدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فن قال انهم تلبسوا بشئ من
هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو في غيرها فقد أعظم عليهم الضرر وليس
يقبول في ذلك فان أقوال الأئمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها الاخذين
لها عن الثقة الاثبات يرد عليه ويدفع في وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل
عارف فاشدد بذلك على هذا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمددات في الصفات وأرج
نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها
أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وافقها فقد وافق
الاصول المتقررة في زعمهم وان خالفها فقد خالفها الاصول المتقررة في زعمهم
ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم والمخالف لها من قسم المردود
والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى أو ألف حديث مما

ثبت في الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا اعتدوه شيئا ومن كان منكرا لهذا
فعايه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام فانه سيقف على الحقيقة
ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها ومن العجب العجيب والنبأ الغريب ان تلك
العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التي جعلها من بعدهم أصولا
لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والفريفة على الفطرة وكل فرد من
أفرادها قد تزعت فيه عقولهم وتخالفت عنده ادراكاتهم فهذا يقول حكم
العقل في هذا الكلام كذا وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا ثم يأتي بعدهم
من يجعل ذلك الذي يعقله من تقلده ويقتدى به أصلا يرجع اليه ومعيار الكلام
الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه في الله
وللمسلمين والعلماء الذين من هذه الفواقر الموحشة التي لم يصب الاسلام
وأهلها بثلها وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأقطع انهم بعد ان جعلوا هذه
التعقلات التي تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في عقولها أصولا
ترد اليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها معيار الصفات الرب تعالى فاعتقله هذا
من صفات الله قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به فثبتوا الله تعالى الشيء
ونقيضه استدلوا بحكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا
الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا
ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقويا وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقا
لدليل العقل وان وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الأصل
ومتشابه وغير معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم
فأقترى على عقله بانه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد اليه
أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عندها وليث محكما عنده والمخالف لدليل
العقل عندهم موافقا له عنده فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات
الله ما لا يعلمه وكفالك هذا وليس بعده شيء وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه
وتعالى ويرعوا استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال ان في كلامي هذا

مبالغه وتهويلا وتشنيعا وتطويلا وان الامر ايسر من أن يكون حاصلا هذا
 الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها (فاقول) خذ جملة البلوى ودع
 تفهيلها واسمع ما يصك سمكك ولولا هذا الاصلاح منك ما سمعته ولا جرى القلم
 بمثله هذا أبو علي وهو رأس من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من
 اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى عنه ذلك صاحب شرح القلائد
 والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو فخذ هذا التصريح حيث لم تكف بذلك التلويح
 وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التي ليس بهداه جرأة في الامم أبي علي
 الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه في هذا المضيق وهل سمع
 السامعون بيمين أجز من هذه العين الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى
 هذه الكلمة المقتونة أو باع مفتخر الى ما بلغ هذا المختال الفخور أو وصل من
 يضر في أيمانه الى ما تقارب هذا الفخور وكل عاقل يعلم ان أحدنا لو حلف ان ابنه
 أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجر افيها لان كل فرد من
 الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يجب ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف
 على شيء منها سواه ومن ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره ويستكن في ضميره
 ومن ادعى علم ذلك واته يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه
 ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما يعلمه هذا المدعى فهو امام مصاب العقل يهذي بما
 لا يدري ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء فان هذا أمر
 لا يعلمه غير الله سبحانه وهو الذي يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما
 يسر عباده وما يعلنون وما يظهر ون وما يكتمون كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز
 في غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما يعلمه الا الله من عباده
 فإظنك من جاوز هذا أو تعداه واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه
 هو ولا يصح لنا ان نحمله على احتمال العقل فلو كان مجنوننا لم يكن رأسا يقتدى
 بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون
 عنه في مقامات الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بذهبه لو قال له من قائل

وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل ولا يعطون به علما وقوله ولا يعطون
 بشئ من علمه الا بما شاء وقال لهم هذا يريد ما قال صاحبكم ويدل على أن معينه
 هذه فاجرة مفتراة لقالوا وهذا ونحوه مما يدل دلالاته ويفيد مفاده من التشابه
 الوارد على خلاف دلائل العقل المدفوع بالاصول المقررة وهو بالجمل في قاطبة
 ذبول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للذوقات واشتغال بحكاية الخرافات
 المبكيات لا المضحكات وايس مقصودنا هو اننا الا ارشاد المسائل الى ان المذهب
 الحق في الصفات هو امر ارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف
 ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح
 من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو فان قلت وهو وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه
 العبارات التي تذكرها فان اهل المذاهب الاسلامية يتزهون عن ذلك
 ويتحاشون عنه ولا تصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف
 الكفار وهم المنكرون للصانع وهو قلت وهو يا هذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام
 الذي اصطلح عليه طوائف من اهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير
 منهم وينذرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن اكابرهم ان الله سبحانه وتعالى
 وتزهو وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه
 فانشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأي مبالغة في الدلالة
 على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه
 الى هذا التعطيل كما قال القائل

فكنت كالساعي الى متعب * موائل من سبيل الراعد

أو * كالسحير من الرضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية
 ومن قرصة النملة الى قضمة الاسد وقد يعني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين
 المتكلمين كلمتان من كتاب الله تعالى رصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله وهما
 ولا يعطون به علما وليس كمثل شئ فان هاتين الكلمتين قد اشتقتهما على فصل
 الخطاب وتضمنتا بعين أولى الالباب المسالكين في تلك الشعاب فالكلمة

منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه
التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشبهة من شعب الجهل مخلوط بمخاوط
هي منافسة للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علماً فن
زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة
وقد نفيت عن كل فرد من الافراد علماء كل قول من أقوال المتكلمين صادر
عن جهل امام من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف
الى جهل ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة في الدين
مالم يكن في غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف ولم يحط
بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقطف من ثمراتها الا الممرون المصنفات
على ظاهرها المريحون أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات
والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالا حاطة وأوقفوا
أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وما هي صفاته بل العلم كماله
وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المجال فلم ينظر بغير القيل والقال

العلم للرجن جل جلاله * وسواه في جهالاته يتعمم

مالتراب والعلوم وانما * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بانهم لم يستقد من تكافه وعدم قنوعه بما

قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال

وسرحت طرفي بين تلك المعالم * فلم أرا الا واضعاً كفا حائر

* على ذوق أوقار عاسن نادم *

وها أنا أخبرك عن نفسي وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي فاني في أيام الطلب

وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام وتارة علم

التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم

ورمت الرجوع بفائدة والعود بمائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة

وكان ذلك من الاسباب التي حبت الى مذهب السلف على اني كنت قبل ذلك

عليه ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شغفا وقلت عند ذلك في تلك المذاهب
 وقاية ما حصلته من مباحثي * ومن نظري من بعد طول التدبر
 هو الوقف ما بين الطريقين حيرة * فاعلم من لم يلق غير التعبير
 على اني قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسي بغير البحر
 وهو أما الكامة * وهي ايس كمثلته شيء فيها يستفاد في المماثلة في كل شيء فيدفع
 به هذه الآية في وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع
 البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاسطوانة ونحو ذلك مما اشتمل عليه
 الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لآعلى وجه المماثلة والمشاكلة
 للمخلوقات فيدفع به جاني الافراط والتفريط وهما المبالغة في الاثبات المفضية
 الى التجسيم والمبالغة في النفي المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغاوي
 الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قوله - ما أثبتته لنفسه من
 الصفات على وجه لا يعلم الا هو فانه القائل ايس كمثلته شيء وهو السميع البصير
 وهو من جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجر وهما على ما جاء به
 القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التي ذكرها السائل
 يقولون نحن ثبت ما أثبتته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها
 الا هو وكيفية لا يدري بها سواه ولا تكلف أنفسنا غير هذا فليس كمثلته شيء
 لافي ذاته ولا في صفاته ولا تحيط عباد به علما وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي
 ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها والادلة في ذلك طويلة كثيرة
 في الكتاب والسنة وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث طولوها
 بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على موافق بسبب في
 مجلدهم مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه دلالة
 على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب المؤمن بالأهل
 ان تلبس على عارفي وأبين من ان يحتاج فيها الى التطويل ولكنها ما وقعت فيها
 تلك القلاقل والزلازل الكثيرة بين بعض الطوائف الاصلية كثر الكلام

فيها وفي مسألة الاستواء وطال سيمابن الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب
 قاهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد
 عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش
 والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها
 ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث بل
 هذا مما يجده كل فرد من أفراد في نفسه وتحسسه في فطرته وتجذبه
 إليه طبيعته كما تراها في كل من استناب بالله سبحانه وتعالى والتجأ إليه ووجه
 أدميته إلى جنبه الرفيع وعزه المنيع فإنه يشير عند ذلك بكفه أو يرمي إلى
 السماء بطرفه ويستوى في ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدث بواعت
 الاستغاثه ووجود مقتضيات الأزعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس
 وجاهلهم والمأثني على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بان
 الاستواء هو الاستيلاء كما قال جمهور المتأولين والأقبال كما قاله أحمد بن يحيى
 ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون
 فالسلامة والنجاة في أمر ذلك على الظاهر والأذعان بان الاستواء والكون
 على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكليف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا
 قصور في شيء من المقال فن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفریط فهو غير مقتد
 بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك في طريق
 السلامة والاستقامة وكان نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة
 فكذا نقول في مثل قوله سبحانه وهو معكم أينما كنتم * وقوله ما يكون من نجوى
 ثلاثة إلا هو رابعمهم ولا تحسبوا أن الله ساذجهم وفي نحو ان الله مع الصابرين ان الله
 مع الذين اتقوا والذين هم محسنون إلى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه
 فنقول في مثل هذه الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا
 تكلف تأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بان المراد بهذا الكون وهذه المعية هو
 كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف

وتباين ما كان عليه العمارة والتابعون وتابعوهم واذا انتهت الى السلامة في
مدالك فلا تجاوزه

وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق
وقدهلك المتطعون ولا يملك على الله الا هالك وعلى نفسه ابراقش تجني وفي
هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغني من شرح دينه وتحرص عليه عن تطويل المقال
وتكثير ذبوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم انتهت
الرسالة المفيدة كما وجدت * والله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وأصلي وأسلم
على محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم



تم طبع هذه الرسالة البهية المشتملة على مذاهب أئمة السلف رؤساء البرية
عليهم من الله الرضوان والتحية وكل تابع لهم في العقيدة وحسن النبي وكان
ذلك على ذمة الفاضل الكامل الناجح المتمسك بعقيدة السلف

الصالح حضرة الحاج عبد القادر مصطفى التلمساني

بلغه الله جميع ما يرجوه من الاماني بطبعة

الراجي من الله كمال الوفا حضرة محمد افندي

مصطفى في أواخر شهر رشتوال سنة

١٣١٠ هجرية على صاحبها

أفضل الصلاة

وأزكى التحية

آمين